

## الصورة الاسرائيلية

يجب عند استعراض صورة المجتمع الاسرائيلي في أي شأن من شؤونه أن نضع نصب اعيننا وان يظل في الذهن دائما عدد من المعايير المدروسة التي ينظر لذلك الشأن في ضوءها . فنحن العرب عرضة على الدوام للانبهار بمختلف ظواهر تلك الدولة . لقد دأبت دعايتنا وحكامنا طوال القدر الاكبر من ربع القرن الذي مضى من حياة اسرائيل - بل وفيما قبله - بيثون فيما بيننا ما يدفع الى الاحتقار لشأن هذه الدولة « المزعومة » وعلى العكس التضخيم لكل ما نملك او نستعمل من سلاح - اذا كنا قد استعملنا - اذاعا حتى سرت العقيدة لدينا بأن اسرائيل ما هي الا كيان تافه تكفي هبة من الريح لتلقي بها في زوايا النسيان . واذ تعيش شعوبنا أسرى هذا الوهم الذي لم يكن له من جانب العرب ما يسنده ثم فجأ بمرات ثلاث متتالية من انتصار ان لم يكن ساحقا فهو كبير لهذا الكيان الضعيف - كما ظللنا نسمع - لامر كليل بأن تغفر الافواه بالدهشة وان يولد رد فعل يذهب بنا من النقيض الاول هو وهم الدعاية العربية المستمرة بضعف العدو وتفاهة شأنه ، والنقيض الثاني هو الانبهار الى حد اليأس بانجاز ذلك « الضعيف » التامه الشأن » .

ولقد دفعت نكسة حزيران ( يونيو ) ١٩٦٧ بسبب سرعتها وقسوتها الى انهيار ذلك الاسلوب الدعائي العربي السابق ، وارتفع عاليا - وربما لأول مرة - صوت الداعين بالمعرفة بالعدو قدر المعرفة بالنفس كضرورة أساسية لا يمكن ان يتحقق للعرب نصر . وتوالت الدراسات الهادئة الهادفة حول مختلف شؤون المجتمع الاسرائيلي .

ولكن ليس من خشية في ان نقول ان تلك الدراسات تأتي ونحن العرب في حالة الانتقال من النقيض الى النقيض . تأتي ونحن في حالة الانبهار مما استطاع ان يحقق ذلك العدو الذي درجنا عشرين عاما على رؤيته ضعيفا لا يصيد أمام نفخة من الريح ، ومن ثم فقد يشويها بعض من التضخيم ، وقد يعثرها بعض المغالاة . ذلك أمر محتمل . يضاف له انه لا يمكن لعربي ان يدرس شأننا من شؤون اسرائيل او ان يعرض لأمر من أمورها الا وكانت الصورة العربية خلفية ثابتة في ذهنه لا يفتأ يعرض ما يدرس للمقارنة اذاعا . وتزداد هنسا الفرص لحالة الانبهار . انه ليس من انكار ان واقعنا متخلف ،

والتكنولوجية المعاصرة ، ولكن هذه الملامح حيث تتحقق فانها لا تنشأ من فراغ ، بل هي الفئاج الطبيعي لعملية تطور مستمرة في المجتمع دفعت به الى بلوغ هذا الشأن .

ويلعب عديد من العوامل دوره في وصول المجتمع الى ذلك الوضع . لعل أولها ضخامة المجتمع بالمعنى المادي للكلمة أي في مساحته وخاماته وعناصره البشرية وفوق ذلك انتاجه القومي وما يخصصه للبحث العلمي وللمستوى التعليمي لافراده كافة ، ولعل منها توغر رؤوس الاموال القادرة على المخاطرة والمثابرة وراء البحث ونتائجه ، ومنها كذلك اتساع السوق سواء المحلي او الخارجي الذي يتيح انطلاق الانتاج المحقق الى الاستهلاك ، ومنها كذلك - في الدول الرأسمالية بالذات - وجود الشركات العملاقة التي يمكن ان تسيطر على مراحل عملية انتاجية معينة من ألفها الى يائها وأن تعمل كل عوامل تحسين النوع وخفض التكلفة وتدرج العمليات وغير ذلك والتي تتيج لها امكانياتها الانفاق على البحث العلمي والذي يصل كمتوسط في العالم الان الى ما بين ٢٠١٠٪ من اجمالي انفاقها .

وقد يتميز بين هذه العوامل في المجتمع ارتفاع المستوى التكنيكي لدى أفراده الذي لا بد يسمح بأن تتحول الاعمال التي تؤدي في تلقائية وميكانيكية ورتابة الى وسائل تكنيكية بحتة تخلى العامل من العمل العضلي ليتفرغ للعمل الذهني وهو المرحلة الاولى نحو دخول مجتمع الثورة التكنولوجية التي فيها يسلم النشاط الذهني المرتبط بشكل مباشر بالعملية الانتاجية الى الالات ذاتها عن طريق العقول الالكترونية التي تحكم أداؤها . كما يتميز بين العوامل ارتفاع المستوى التعليمي عامة . فبالاضافة الى ما ذكرناه عن نسب التعليم الجامعي فان مجتمعنا في عصر الثورة التكنولوجية لا يمكن ان يعيش أو أن يتقدم فيها اذا كان مستوى اغلبية افراده عند ما اصطلحنا على تعريفه بالمرحلة الابتدائية ، غير أن نشاط البحث العلمي وزيادة خريجي الجامعات ، وتوجيههم نحو البحث العلمي في مواقع صلبهم شروط اساسية ولكن ارتفاع مستوى التعليم عامة في البلاد شرط مكمل ولا يصلح الاول بدونه .

ان ارتفاع كل من التقنية ( التكنيك ) والمستوى العلمي انما هما في الواقع طاقة تكنولوجية محتلفة .